The European Enlightenment in the Eighteenth Century

Lama Issa [*]
Dr. Wissam Ayach [**]
Dr. Yousef Aboud [***]

(Received 25 / 11 / 2025. Accepted 30 / 3 / 2026)

Abstract

The eighteenth century, known for its emphasis on logical thinking and criticism, witnessed the emergence of Enlightenment ideas that built upon centuries of thought. Philosophers of this era, inheriting insights from figures like Galileo and Leibniz, diverged from Descartes by asserting, like Locke, that knowledge arises from experience rather than being innate. Their quest for knowledge involved challenging established beliefs, embracing all fields of inquiry, and celebrating science as a means to liberate humanity from superstition. Reason was championed as essential, advocating that thought should be free from authority and dogma, particularly those rooted in Christian interpretations of the universe. The Enlightenment's motto urged individuals to "have the courage to use your own understanding," emphasizing personal autonomy as crucial for achieving freedom. This intellectual movement, which originated in England and spread across Europe with sometimes conflicting ideas, played a vital role in shaping civilizations. This article explores the essence of the Age of Enlightenment and its rationalist approach, highlighting the importance of reason and the fundamental principle of freedom that it championed.

Key words: Enlightenment-Church-Mind- Freedom.

Copyright **:**Latakia University journal (formerly tishreen) -Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

[*] **Postgraduate Student (Master's) - Specialization in Modern and Contemporary History - Department of History - Faculty of Arts and Humanities - University of Latakia(formerly tishreen) - Syria.**
Emai: lamaisaa@tishreen.edu.sy
[**] **Assistant Professor - Department of History - Faculty of Arts and Humanities - University of Latakia(formerly tishreen) - Syria**
[***] **Assistant Professor - Department of History - Faculty of Arts and Humanities - University of Latakia(formerly tishreen) - Syria.**

التنوير الأوروبي في القرن الثامن عشر

لمى عيسى *

د. وسام عيّاش **

د. يوسف عبود ***

(تاريخ الإيداع 5 / 11 / 2025. قُبِل للنشر في 30 / 3 / 2026)

ملخص

شهد القرن الثامن عشر–قرن التفكير المنطقي لروح النقد، وقتال العقل من أجل الحرية من التعصب–ازدهار الأفكار التي ظهرت على مر القرون منذ العصور القديمة؛ استوعب الفلاسفة في عصر التنوير المفاهيم والأفكار السابقة وأعادوا فحصها واخضعوها للتساؤل ودمجها. كانوا ورثة غاليليو وباسكال ولايبنتز، لكنهم اختلفوا عن ديكارت من خلال افتراضهم، مثل لوك، أن المعرفة ليست فطرية بل تأتي من التجربة. سعى هؤلاء الفلاسفة وراء المعرفة من خلال تحدي الأفكار السائدة والانفتاح على جميع مجالات المعرفة، مع التركيز على أهمية العلم كوسيلة لتحرير البشرية من الخرافات. كانوا يؤمنون بقوة العقل ويعتبرون أن الفكر يجب أن يكون حراً، غير خاضع للسلطة أو للأفكار السابقة التي كانت سائدة. شعار عصر التنوير: "كن متيقظًا! تحلَّ بالشجاعة لاستخدام فهمك الخاص!". يجب أن يتمتع الفرد باستقلاليته لينال الحرية. ساهم عصر التنوير، وهو حركة فكرية إنجليزية المنشأ انتشرت في جميع أنحاء أوروبا، وتضم تيارات متناقضة أحياناً، في تاريخ الحضارات. يتناول هذا المقال طبيعة عصر التنوير والاتجاه العقلاني الذي ميزه، بهدف استكشاف الدور الحيوي الذي لعبه العقل في تلك الفترة والاعتماد عليه كأساس لبناء الحضارات. كما تم استعراض المبادئ الأساسية التي نادى بها عصر التنوير، وأبرزها مبدأ الحرية.

الكلمات المفتاحية: التنوير-الكنيسة -العقل-الحرية.

حقوق النشر : مجلة جامعة اللاذقية (تشرين سابقاً)– سوريا، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY–NC–SA 04

* **طالبة ماجستير – اختصاص حديث ومعاصر–قسم التاريخ–كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة اللاذقية(تشرين سابقاً)–سوريا.**

البريد الإلكتروني: lamaisaa@tishreen.edu.sy

** **مُدرس–قسم التاريخ–كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة اللاذقية(تشرين سابقاً)–سوريا.**

*** **مُدرس–قسم التاريخ–كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة اللاذقية(تشرين سابقاً)–سوريا.**

مقدمة:

عانت أوروبا من أوضاع سياسية واجتماعية وثقافية متجذرة، فرضتها هيمنة الكنيسة والنظام الإقطاعي. حيث قامت الكنيسة بسلب الأفراد عقولهم وإرادتهم، ولم تعترف بمكانة الفكر أو قيمته، بل اعتبرت النظام الإلهي المطلق هو الأساس، وقد أدت هذه الهيمنة إلى وضع الأفراد في مراتب تبعية، مما أفقدهم مكانتهم أمام الطبقة الإقطاعية المسيطرة.

وعلى الرغم من وجود نوع من الانفصال بين السلطتين الإقطاعية والدينية، إلا أن الدين ظل عنصراً أساسياً في المفهوم الإقطاعي. فقد كان الدين في العصور الوسطى يضم جميع مجالات المعرفة والأخلاق والسياسة والتشريع تحت لوائه، ونتيجة لهذه القوة، أصبحت المسيحية تعبيراً قوياً عن العصر الإقطاعي بكل جوانبه الاقتصادية والسياسية، حيث تميزت تلك الفترة بتحالف وثيق بين الكنيسة والدولة، مما نسب السلطة في المجتمع إلى الله والملك.

كان الكون بالنسبة للإنسان الذي عاش في ظل النظام الإقطاعي يبدو عالم ثابت وساكن لا يتغير. في ظل هذه الحياة المليئة بالخضوع والنظرة الغارقة في الطقوس الدينية والأمل في الخلاص الأبدي، بدأت حركات عميقة تتشكل، فقد خاض البرجوازيون صراعاً مريراً من أجل الحصول على الحريات القانونية، مما أدى إلى رحلات استكشافية عبر البحار بحثاً عن طرق جديدة. وهكذا، أطاحت فلسفة التنوير بكل التصورات الغيبية واللاهوتية التي جعلت من العناية الإلهية محور العالم، وأعادت للإنسان مكانته كمركز للعالم وسيد لنفسه. إذاً، عصر التنوير، المعروف أيضاً بعصر العقل، كان ثورة فكرية في أوروبا وأمريكا الشمالية من أواخر القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر. تميز التنوير بظهور مناهج جديدة في الفلسفة والعلوم والسياسة، وقبل كل شيء، تمجيد القدرة العقلية لمنطق البشر باعتبارها الأداة التي يمكن من خلالها توسيع المعرفة والحفاظ على الحرية الفردية، أي تحرير الإنسان من قِبل الإنسان.

أهمية البحث وأهدافه:

تتجلى أهمية التنوير في كونه يمثل نقطة تحول بارزة في التاريخ الأوروبي، حيث ساهم في إحداث قفزات فكرية ونوعية، أدت إلى تحرر العقل الأوروبي من القيود التي فرضتها الكنيسة، وقد أفرزت هذه الفترة مجموعة من الفلاسفة والمفكرين الذين تركوا بصماتهم على مسار الفكر الأوروبي. يهدف البحث إلى دراسة وتحليل فترة حاسمة في تاريخ أوروبا الحديث، وهي فترة التنوير التي أسهمت في نشوء نهضة فكرية جذرية، نقلت أوروبا إلى مرحلة من التحرر النسبي من هيمنة الكنيسة الكاثوليكية على مختلف جوانب الحياة الإنسانية.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية البحث حول سؤالين محوريين: ما هي أهم الأسباب التي أدت إلى هذا التحول الإيجابي والنوعي في التاريخ الأوروبي بعد عصور طويلة من سيطرة الكنيسة على الفكر الإنساني؟ وما هو الأثر العميق الذي تركه عصر التنوير ورجالاته من الفلاسفة والعلماء، (كيف ساهمت أفكارهم) في تشكيل نواة لحضارة حديثة لا تزال تأثيراتها مستمرة حتى يومنا هذا؟

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج العلمي التاريخي القائم على جمع المادة العلمية من المصادر والمراجع، وأيضاً الالتزام بقواعد منهجية البحث التاريخي المستندة على التحليل والتوثيق والاستنتاج للدراسات التي تم الاعتماد عليها في هذه الدراسة.

مفهوم التنوير:

أولاً، التنوير في اللغة:

تناولت المعاجم مصطلح التنوير لغرض توضيحه فجاء على النحو التالي: نار ينوّر نوراً ونياراً أضاء[1]؛ فجاء تعريف "التنوير" في المصباح المنير (النور) (الضوء وهو خلاف الظلمة وجمعه أنوار وأنار الصبح إنارة أضاء، ونور تنويراً واستنار استنارة ونار الشيء ينور نياراً)[2]. وقد نار نوراً وأنار واستنار ونوّر، بمعنى واحد؛ أي أضاء، كما يقال: (نار نوراً وأنار، واستنار ونوّر)[3] التنوير إذن هو النور الذي ينير طريق الإنسان.

ثانياً، التنوير اصطلاحاً:

يُعد التنوير تياراً فكريا وفلسفياً واجتماعياً سعى ممثلوه إلى تصحيح عيوب المجتمع القائم وتغيير أخلاقياته وأساليبه من خلال نشر أفكارهم حول الخير والعدالة والمعرفة العلمية. كانت هذه العناصر تشكل جوهر عصر التنوير، حيث لعب الوعي دوراً حاسماً في تطور المجتمع، كما أن الرغبة في معالجة المشاكل الاجتماعية التي أدت إلى جهل الناس، كانت محور اهتمام المفكرين في تلك الفترة، وقد وجه هؤلاء المفكرون رسائلهم إلى جميع فئات المجتمع دون استثناء، لكنهم ركزوا بشكل خاص على أولئك الذين يتمسكون بالسلطة. انتشر التنوير في فترة التحضير للثورات البرجوازية، مما ساهم في تعزيز الأفكار الجديدة ودفع التغيير الاجتماعي[4] .

حيث يستمد عصر التنوير اسمه "النور" من التباين مع ما كان يُعتبر آنذاك "ظلام" العصور الوسطى، حيث أن الفترة الوسطى لم تكن بالضرورة "مظلمة" كما كان يُعتقد في السابق، ولكن الحقيقة الأساسية تبقى أن الدين والخرافات والخضوع للسلطة كانت تسود تلك الفترة قبل أن يبدأ الفلاسفة في تحدي هذه المفاهيم في القرن السابع عشر، حيث لم يعد من الممكن ببساطة قبول المعتقدات المتوارثة كحقيقة لمجرد أنها لم تتعرض لآراء مخالفة لقرون[5] .

برز التنوير كتيار ثقافي بارز في أوروبا خلال القرن الثامن عشر، متأثراً بمجموعة من المثقفين الذين عُرفوا بـ "المتفلسفين"، كان هؤلاء المفكرون كتّاباً ونقاداً ورواد صالونات أدبية، وقد لعبوا دوراً أساسياً في الدفاع عن العقلانية ومبادئها كأسس لتأسيس نظام أخلاقي شرعي، بدلاً من الاعتماد على الدين كمرجعية، وسعى هؤلاء المفكرون إلى تعزيز التفكير النقدي وتحرير العقول من قيود التقليد، مما أسهم في تشكيل رؤية جديدة للعالم ودور الإنسان فيه[6]. في هذا المناخ الفكري الجديد الذي اتسم بنسبية الحرية الفكرية، بدأت العقلانية تتحدى المعتقدات السائدة، كما قام العلماء بإجراء تجارب عملية خلال الثورة العلمية لاكتشاف قوانين الطبيعة، كان الفلاسفة حريصين على تحكيم العقل في مواجهة القضايا القديمة المتعلقة بكيفية العيش معاً في المجتمعات وكيفية تحقيق الفضيلة وما هو الشكل الأمثل

[1] البستاني، بطرس، قطر المحيط، ج12، مكتبة لبنان، بيروت، 1869، ج 2، ص 125.

[2] العلامة أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، ج 4، دار الكتب العربية العامة، بيروت، 1978، ج 1، ص 505.

[3] ابن منظور، لسان العرب المحيط، تق يوسف خياط ونديم مرعشلي، ج 15، دار لسان العرب، بيروت، ج 3، ص 739.

[4] حسيبة، مصطفى، المعجم العربي الفلسفي، ص 145.

[5] Pagden, A., The Enlightenment and Why it Still Matters, University of Oxford, Oxford, 2013, pp. 4-6.

[6] Barnett, S.J., The Enlightenment and Religion, Manchester University Press, Manchester, 2003, p.45.

للحكم[7]. كانت هذه فترة من الصراع بين العقل من جهة، والعاطفة والخرافة والخوف من جهة أخرى؛ وكانت الأسلحة الرئيسية في هذا الصراع هي التفاؤل بعالم أفضل والحرية والقدرة على التشكيك في كل شيء دون استثناء[8].

عصر النهضة ودوره التنويري:

كان عصر النهضة عصراً تحول فيه البشر عن التجريد، وعن أفكار الكمال الدنيوي، لاستكشاف قارات وبحار جديدة، وكذلك مفاهيم فكرية وصور جديدة للإنسان، حيث درسوا عمالقة الماضي معتقدين أنهم اكتشفوا بالفعل جوهر الإنسان الحقيقي، ثم قدموا إبداعات جريئة في الفن وعلم النفس والسياسة والأخلاق لم يعرفها العالم القديم من قبل[9].

تميزت هذه الفترة ببروز عمالقة الفكر الذين بذلوا قصارى جهدهم لنشر النظرة العلمية للعالم، ولتطوير المنهج العلمي في دراسة الطبيعة، ومن أبرز هؤلاء المفكرين كان الفلكي "كوبرنيكوس"Nicous Copernicus* (1473-1543م)، الذي قدم نموذجاً ثورياً للنظام الشمسي، فقد افترض أن الشمس هي المركز الثابت، بينما تدور الكواكب حولها في مدارات دائرية متباينة، وقد لاحظ أن النظام الذي وضعه "بطليموس"Claudius Ptolemy* (100-170) كان معقداً ويفتقر إلى البساطة، مما يتعارض مع المبادئ العلمية السليمة. اعتبر كوبرنيكوس أنه من غير المعقول القول بأن الشمس والكواكب تدور حول الأرض؛ بل ينبغي عكس هذا المفهوم، حيث تدور الأرض حول الشمس[10] . بهذا الشكل، لم يكن عصر النهضة مجرد فترة زمنية، بل كان نقطة انطلاق نحو فكر عقلاني جديد، مهدت الطريق لعصر التنوير الذي أعاد تشكيل الوعي الإنساني وأسس لفهم جديد للعالم. نشر "كبلر"* Johnnes Kepler(1571-1630م) كتابه المعروف باسم "الفلك الجديد"، الذي عرض فيه نتائج أبحاثه الفلكية، حيث تضمن الكتاب قوانينه الثلاثة الأساسية التي غيرت فهمنا للحركة الكوكبية:

1. يدور كوكب المريخ في مدار إهليلجي، حيث تقع الشمس في إحدى بؤرتيه.
2. المستقيم الذي يربط بين الشمس والكوكب يمسح مساحات متساوية في أوقات متساوية.

---

[7] هازرد، بول، أزمة الوعي الأوروبي 1680-1715، تر د. يوسف عاصي، مر د. بسام بركة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2009، ص 150-152.

[8] Hazard. P., The European Mind, 1680-1715, New York, 1963, pp. 304-305.

[9] Berlin, Isaiah, the Age of Enlightenment, (The Eighteenth Century Philosophers), p. 285.

*** كوبرنيكوس: ولد نيكولاس كوبرنيكوس في تورون،بروسيا الملكية، بولندا حالياً، عالم فلك بولندي وراهب وقانوني ودبلوماسي، يعتبر اول من صاغ نظرية مركزية الشمس وكون الأرض جرماً يدور في فلكها، وهو مطور نظرية دوران الأرض ويُعد مؤسس علم الفلك الحديث. للمزيد النظر البعلبكي، منير، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1992، ص370-371.**

*** بطلموس: كان كلوديوس بطليموس عالم رياضيات وفلك وجغرافيا إسكتلندي، بقيت أعماله سليمة حتى العصور القديمة والوسطى، وكانت نظرياته، وخاصة تلك المتعلقة بنموذج مركزية الأرض للكونن حيث تدور في مدارات داخل مدرارات، مؤثرة للغاية حتى استبدلت بنموذج مركزية الشمس لكون الي اقترحه كوبرنيكوس وغاليليو. للمزيد النظر Bron, Cynthia Stokes, Caudius-Ptolemy, p. 3,4,5,6**

[10] متي، كريم، الفلسفة الحديثة، دار المعارف، بغداد، ط2، 1988، ص 29.

*** كبلر: ولد يوخهانس كيلر في مدينة فايل، فورتمبيرغ، الأميراطورية الرومانية المقدسة (ألمانيا حالياً)، كان كبلر عالم رياضيات وفلك ألمانياً، اكتشف أن الأرض والكواكب تدور حول الشمس في مدارات إهليلجيه. وضع ثلاثة قوانين أساسية لحركة الكواكب، كما أنجز أعمالاً مهمة في علم البصريات والهندسة. للمزيد النظر:**

Finke, Katl-Heinz, Johnnes Kepler (1571-1630), Biography and Karmic Aspects of his Life, Berlin, 2001,pp. 3-4-5

3. يتناسب مربع الزمن اللازم لكل كوكب لإكمال دورة حول الشمس طردياً مع مكعب بعده عن الشمس[11].

أحدثت هذه القوانين ثورة علمية هائلة، حيث استنتج نيوتن* Isaac Newton(1643–1727م) من القانون الثالث لكبلر قانون الجاذبية، موضحاً أن قوة الجاذبية بين جسمين تتناسب عكسياً مع مربع المسافة بينهما. بل وذهب أبعد من ذلك ليبين أن القوة التي تحافظ على الكواكب في مداراتها هي ذاتها التي تجعل الأجسام مثل الحجر والتفاحة تسقط نحو الأرض[12]. أما "غاليليو"Galileo Galilei* (1564–1642)، الذي كان من مؤيدي نموذج النظام الشمسي الذي اقترحه "كوبرنيكوس"، فقد ابتكر جهاز التلسكوب واستعمله لرصد سطح القمر، حيث اكتشف الجبال والحفر الموجودة عليه. كما رصد الكوكب العملاق "المشتري" واكتشف عدة أقمار تدور حوله. قدم غاليليو أيضاً مجموعة من الأبحاث التي شكلت الأساس لدراسات لاحقة، منها دراسته للأجسام الساقطة بحرية، حيث أثبت أن الأجسام الساقطة من ارتفاع معين تكتسب نفس السرعة بغض النظر عن أوزانها، مع تجاهل تأثير مقاومة الهواء. لقد كانت قوانين الطبيعة مختبئة في ظلام الليل، حتى قال الله: "ليكن نيوتن!"، فظهرت الأمور في نورها. ومع ذلك، كانت التخصصات القديمة مثل الميتافيزيقا والمنطق والأخلاق وكل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية للبشر تعاني من فوضى عارمة، تحكمها عشوائية الفكر واللغة في عصر قديم لم يتجدد. لذا، كان من الطبيعي، أن يسعى أولئك الذين تحرروا بالعلوم الجديدة إلى تطبيق مناهجهم ومبادئهم[13].

في الواقع، كانت هذه المهمة ذات أهمية قصوى؛ لأنه بدون فهم دقيق وواضح للمَلكات وعمليات العقل البشري الأساسية، لا يمكن للمرء أن يحدد مدى المصداقية التي ينبغي منحها لأنواع مختلفة من التفكير، أو كيفية تحديد مصادر وحدود المعرفة البشرية، أو العلاقات بين أنواعها. وما لم يكن هذا واضحًا، فلن يمكن فضح ادعاءات الجهل والدجل بشكل صحيح؛ كما أن الصورة الجديدة للعالم المادي لن ترتبط بشكل كافٍ بالقضايا الأخرى التي تهم البشر – مثل السلوك الأخلاقي والمبادئ الجمالية وقوانين التاريخ والحياة الاجتماعية والسياسية والعوامل الداخلية للعواطف والخيال وجميع القضايا الأخرى ذات الأهمية الكبرى للبشر[14]. تمكن "نيوتن" من تحقيق إنجازات بارزة في مجالي الرياضيات والفيزياء، حيث أرسى أسس حساب التفاضل والتكامل وقدّم قانونه الرياضي الهام الذي يربط بين حركة

---

[11] الزير، مروان، موسوعة العلوم الطبيعية، دار أسامة، الأردن، ط 1، 2002، ص 128–129.

*** اسحق نيوتن: ولد في ووثورب لينكولنشايئ، إنكترا، اشتهر نيوتن بقوانين الحركة ونظرية الجاذبية الكونية وتطويره لحساب التفاضل والتكامل. كما قدّم مساهمة مهمة في علم البصريات، بما في ذلك نظريته القائلة بأن الضوء البيض يتكون من طيف من الألوان. للمزيد النظر -Mazauric, Simone, Hitoire Des Sciences À L'Époque Moderne,Armand Colin, Paris, 2009,p.208 229**

[12] صبحي، أحمد محمود، فلسفة الحضارة، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1976، ص 133.

*** غاليليو: ولِد غاليليو في 15 فبراير 1564 في بيزا، لعائلة من أرستقراطيي فلورنسا، في عام 1581، أُرسل لدراسة الطب في جامعة بيزا، لكنه لم يُبدِ اهتمامًا يُذكر بهذا المجال، وبدءًا من عام 1583، كرَّس نفسه للرياضيات والفلسفة. قبل عام 1609، لم يُبدِ غاليليو اهتمامًا يُذكر بالمسائل الفلكية، على الرغم من أنه كان يُقدِّم نفسه سرًّا على أنه كوبرنيكوس. انصبَّت أبحاثه في بيزا وبادوفا في الغالب على مشكلة الحركة، وخاصةً الحركة على المستويات المائلة، والبندول، والأجسام الساقطة سقوطًا حرًا. على الرغم من أنها لم تكن معروفة في البداية خارج إيطاليا، إلا أن اكتشافات غاليليو التلسكوبية في عامي 1609 و1610 دفعته فورًا إلى الشهرة العالمية، وكسبته منصبًا في بلاط فلورنسا، بصفته كبير علماء الرياضيات والفيلسوف لدى دوق توسكانا الأكبر، كوزيمو دي ميديشي الثاني. للمزيد**

Nuncius, Sidereus,Galileo Galilie, Trans V. Helden, The University of Chicago Pres, 1989, pp. 1-10

[13] محمود، أحمد، نظرة جديدة في عصر التنوير، مجلة الفكر العربي المعاصر، القاهرة، 1965، ص 21–22.

[14] Berlin, op.cit, p. 6-7.

الكواكب وقوانين الجاذبية. وقد كان لكتابه الشهير "المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية" الذي صدر عام (1687) تأثير كبير، حيث عرض فيه قوانينه الثلاثة الأساسية حول الميكانيكا وقوانين التجاذب الكوني[15]. تتضمن قوانين نيوتن الثلاثة ما يلي:

1. قانون القصور الذاتي: ينص على أن كل جسم يبقى في حالة سكون أو حركة منتظمة ما لم تؤثر عليه قوة خارجية.

2. قانون القوة والسرعة: يوضح أن القوة المؤثرة على جسم ما تتناسب طردياً مع معدل تغير كمية حركته في وحدة الزمن، وأن اتجاه القوة يتماشى مع اتجاه هذا التغير.

3. قانون الفعل والرد فعل: ينص على أن لكل فعل يوجد رد فعل متساوي ومعاكس في الاتجاه [16].

من خلال هذه القوانين، أبرز نيوتن الدور الحيوي الذي تلعبه القوى في تغيير الحركة، وهو المجال المعروف بالديناميكا. كما أظهر الفرق بين الوزن والكتلة، موضحاً العلاقة بينهما في القانون الثاني، لقد كان لهذه الاكتشافات تأثير عميق على تطور الفكر العلمي، مما جعلها محوراً لفلاسفة عصر التنوير. لقد أنجز نيوتن مهمةً غير مسبوقة في تفسير العالم المادي، أي تمكينه، من خلال قوانين أساسية قليلة نسبيًا ذات نطاق وقوة هائلين، من تحديد خصائص وسلوك كل جسيم من كل جسم مادي في الكون، ولو من حيث المبدأ، وذلك بدقة وبساطة لم يسبق لهما مثيل، ساد النظام والوضوح عالم العلوم الفيزيائية[17]. استمر الزخم العلمي في القرن السابع عشر بفضل جهود فرانسيس بيكون* Francis Bacon (1561–1626م)، الذي أسس منهج الاستقراء في كتابه "الأرغانون الجديد" الذي نشر عام (1620). اعتبر "بيكون" أن التعليم الإنساني يعتمد على التخلي عن الأوهام المرتبطة بالنظريات القديمة وتطوير مناهج جديدة[18]. فإذا كان "رينيه ديكارت" *Renè Descartes (1596–1650م) رائد التيار العقلاني في عصر التنوير، فإن "بيكون" يُعتبر مؤسس التيار التجريبي، رغم أن أعماله تعود إلى عصر النهضة، إلا أن الثورة العلمية التي أحدثها ألهمت مفكري عصر التنوير وأثرت على تطور العلوم. يُعتبر بيكون "أب الفلسفة التجريبية"، حيث تجسدت ثورته العلمية في عدة جوانب:

---

[15] الجزيري، محمد مجدي، التنوير والحضارة، دار الوفاء، الإسكندرية، ط 3، 2004، ص 19.

[16] ابراهيم، إبراهيم مصطفى، فلسفة العلوم، دار الوفاء، الإسكندرية، ط 1، 2000، ص 124–125.

[17] Berlin, op.cit, p. 4-5.

*** فرانيس بيكون: ولد في يورك هاوس، لندن ، إنكلترا، محامي ورجل دولة وفيلسوف، وبارع باللغة الإنكليزية، كان اللورد المستشار الأول لجيمس الأول، وفكرياً كرجل ادعى امتلاكه كل المعرفة، دعا إلى إيجاد سبل جديدة تمكن الإنسان من إرساء سيطرة شرعية على الطبيعة من اجل رفاهية ثروته. للمزيد النظر:**

Mazauric, Simone, op. cit,p. 36. Michael Peppiatt, Francis Bacon: Anatomy of an Enigma, rev. ed. London, 2008, p. 37

[18] صبحي، أحمد محمود، صفاء عبد السلام، فلسفة الحضارة، دار المعرفة الجامعية، د. م، د. ط، 2006، ص 133.

*** رينيه ديكارت: وُلِد ديكارت عام 1596 في لا هاي، وهي بلدة بتورين (وسط غرب فرنسا)، كان ديكارت عالم رياضيات مبدعاً، ومفكراً علمياً بارزاً وعالماً ميتافيزيقياً أصيلاً، وعالماً طبيعياً وفيلسوفاً. طوّر التقنيات التي اتاحت الهندسة الجبرية أو التحليلية. أول من نشر قانون الجيب للانكسار وضع تفسير تجريبي مهم لقوس قزح، واقترح تفسيراً طبيعياً لتكوين الأرض والكواكب (مقدمة لفرضية السديم، القائلة بأن الكواكب تشكلت من مادة سائلة تدور حول الشمس). للمزيد النظر:**

Descartes, Renè, Meditation on first Philosophy, Trans Michael Morarty, Oxford University Press, 2008,p. introdution

- الاعتماد على الملاحظة والتجريب كوسيلة لفهم العالم.
- استخدام منهج الاستقراء كأداة للوصول إلى المعرفة.
- تعزيز القدرات العملية، مما يتجلى في مقولته الشهيرة "المعرفة قوة"[19].

أسباب ظهور عصر التنوير:

كان هناك مجموعة من الأسباب والعوامل التي دفعت النخبة في المجتمع إلى التفكير واستخدام العقل كوسيلة لمواجهة الظروف السائدة، فقد تميزت العصور التي سبقت التنوير، والمعروفة بالعصور الوسطى، بفترة من الظلام، حيث انتشرت الأوبئة والأمراض وعمّت الخرافات وسيطرت الكنيسة على عقول الناس وحياتهم بشكل عام. من رحم هذا العصر المظلم، انبثقت حركة النهضة التي مهّدت الطريق لظهور عصر التنوير، مما أدى إلى اكتمال النهضة الأوروبية وولادة عصر حديث يتسم بتحرر فكري وديني معتدل، وإنسان يفكر بحرية[20].

تتضمن أبرز العوامل التي ساهمت في ظهور التنوير:

1. الحروب الدينية والقتل باسم الدين: عانت المجتمعات الأوروبية من حروب دينية دموية، حيث تم قتل البروتستانت في مجازر جماعية في أماكن مثل النمسا وفرنسا، لم يكن هناك احتفال بين الأسر الملكية دون وقوع حوادث قتل للمهرطقين، مثلما حدث خلال زواج الوصي على عرش لويس الرابع عشر (1643–1715م) من ابنة ملك إسبانيا، حيث أُحرق ثمانين مهرطقاً [21].

2. استهداف العلماء: تعرض العديد من العلماء للاضطهاد بسبب آرائهم المخالفة لتعاليم الكنيسة. على سبيل المثال، كوبرنيكوس الذي أكد كروية الأرض، تم تكفيره وأُحرق بتهمة الزندقة بعد أن أصر على موقفه، مما يمثل انتهاكاً لمبدأ الحرية الفكرية وتقييداً للعقل.

3. ظهور الطائفة البروتستانتية: أدى الانشقاق عن الكنيسة الكاثوليكية إلى بروز حركة جديدة تطالب بالإصلاح الديني وتحدي السلطة الكنسية.

4. محاكم التفتيش: استخدم رجال الدين سلطتهم لادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة، مما دفع المفكرين للعيش في خوف من الاضطهاد. كان الكثيرون مثل ديكارت وفولتير يختارون العيش في هولندا أو إنجلترا، حيث وجدوا ملاذاً أكثر ليبرالية بعيداً عن ضغوط الكنيسة. تكثر الأمثلة عن تلك المحاكم التي اعتمدت العنف منهجاً لها، لمعاقبة ومحاكمة الفلاسفة والعلماء، حيث وجهت لهم العديد من التهم كالهرطقة والدجل وغيرها. تم تأسيس المحاكم الأسقفية (1188–1230م)، بقرار من البابا لوسيوس الثالث (1100–1185م)، والمحاكم البابوية (1230م) بقرار من غريغوري التاسع (1154–1241م)، انتشرت هذه المحاكم في جنوب فرنسا وشمال إيطاليا[22].

[19] https://plato.stanford.edu/entries/enlightenment/.

[20] بيار، إيف بورويير، أوروبا التنوير، تر محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2008، ص 15-20.

[21] الزيني، إبراهيم، مرجع سابق، ص 270.

[22] Peters. E., Early-modern-Europe , https://www.britannica.com/topic/inquisition/ .

5. التخلص من سيطرة الكنيسة: تعرضت المسيحية للتحريف من قبل البشر، رغم أنها دعت إلى المساواة بين الناس واعتبرت الإنسان مسؤولاً أمام الله وحده. ومع ذلك، قامت الكنيسة بتعزيز سلطتها، مما أدى إلى وجود نوعين من السلطة في المجتمع الأوروبي: دينية تتمثل في البابا ومدنية تتمثل في الحكومة[23].

كل هذه العوامل وغيرها أدت إلى ثورة فكرية في أوروبا كانت أهم سماتها:

1. الدعوة لوضع القوانين: ظهرت دعوات تدعو إلى وضع القوانين بعيداً عن الكنيسة لتحقيق السلام الاجتماعي.

2. ظهور الطبقة البرجوازية: نشأت طبقة وسطى تضم التجار والصناع والحرفيين، بعدما كان المجتمع مقسماً إلى طبقتين رئيسيتين: الأرستقراطية وعامة الشعب.

3. بروز الطبقة البروليتارية: انضم العمال والفلاحون إلى هذه الحركة الاجتماعية، مما ساهم في إعادة تشكيل الهيكل الاجتماعي في أوروبا.

بدايات عصر التنوير وآراء المؤرخين:

يُؤرخ عصر التنوير من الربع الأخير من القرن السابع عشر إلى الربع الأخير من القرن الثامن عشر، فخلال عصر النهضة (1400–1600م)، عندما بدأ المثقفون والفنانون بالنظر إلى العصور القديمة كمصدر للإلهام، نشأت حركة إنسانية أكدت على تعزيز الفضيلة المدنية، أي تحقيق الإنسان لكامل إمكاناته سواء لمصلحته الشخصية أو لمصلحة المجتمع الذي يعيش فيه. نمت أفكار التنوير من هذه الجذور وازدهرت بفضل أحداث مثل الإصلاح البروتستانتي (1517–1648م)، الذي قلل من السلطة التقليدية للكنيسة المسيحية في الحياة اليومية[24] . تعددت الآراء حول بداية عصر التنوير، فهناك رأي يقول بأن جذور هذا العصر تعود إلى الحضارة اليونانية القديمة. يُعد طاليس من الشخصيات البارزة التي ساهمت في تحرير الفكر الإنساني من هيمنة الأسطورة، مما أتاح له الانطلاق نحو العلم والعقل، فقد أسس منهجاً علمياً في دراسته للطبيعة وسعيه لفهم أصل الوجود[25]. رأي آخر يقول أن التنوير انطلق من مفهوم "الكوجيتو الديكارتي" (Cogito, ergo sum)[26]، الذي يترجم بالعربية بـ "أنا أفكر إذن أنا موجود" [27]. هي مقولة صاغها عالم الرياضيات والفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت في كتابه "مقال في المنهج" (1637م) كخطوة أولى في إثبات إمكانية بلوغ معرفة أكيدة[28]. تمثل هذه العبارة لحظة حاسمة في تحرير العقل الفردي من قيود الغيبيات، حيث بدأ الفكر البشري يتواصل ويتفاعل بشكل أعمق مع ذاته ومع الآخرين، فالتنوير يكاد يكون حتمياً إذا مُنحَ الحرية فقط[29]. يمثل القرن الثامن عشر نقطة تحول حاسمة في تاريخ الحضارة الأوروبية[30] . برزت باريس كمركزٍ رئيسي

[23] فيصل، عباس، الفلسفة الإنسانية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 2005، ص 120.

[24] سبنسر، ليود وكروز، اندرزيجي، عصر التنوير، تر: عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 2005، ص 12.

[25] الجزيري، محمد مجدي، التنوير الحضارة عند هيردر، دار الوفاء، الإسكندرية، د.ط، 2002، ص 18.

[26] ديكارت، رينيه، مقال عن المنهج، تر محمود محمد الخضيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3، 1985، ص 214.

[27] إيف بوروبير، أوروبا التنوير، تر محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد، ط1، 2008، ص 9.

[28] Derrida, Jacques, Cogito et histoire de la folie. In: L'écriture et la différence, Paris: Seuil, 1967, pp. 51-98.

[29] Kant, Immanueuel, An Answer to the Question: What is Enlightenment, Tras Ted Humphrey, Hackett publishing,1992,p.1.

[30] الزيني، إبراهيم، مرجع سابق، ص 275.

لفكر التنوير بسبب المفكرين والفلاسفة الذين ظهروا فيها ونشروا علومهم وأفكارهم، حتى عام (1789م)، كان ل جان جاك روسو* Rousseau Jean-Jacques(1712-1778م)، دور بارز في عصر التنوير، بحيث غدت أفكاره مشعل الطريق أمام الثوار في فرنسا، ففي كتابه "العقد الاجتماعي" ناقش أن فكرة الحكومة يجب أن تستند إلى إرادة الشعب وأن السيادة تعود للشعب، ساهمت هذه الأفكار في تشكيل مفهوم الديمقراطية الحديثة. اعتبر روسو أن الإنسان بطبيعته، مسالم وأن المجتمع هو الذي يفسد طبيعته، ودعا للعودة إلى الطبيعة والعيش بطريقة تتوافق مع القيم الطبيعية والحرية الفردية[31] .يقول روسو في كتابه: "يولد الإنسان حراً، وهو في مكان مكبل بالسلاسل. إن المرء يظن نفسه سيّد الآخرين وهو لا يزال أكثر عبودية منهم"[32]. وانتقد الفوارق الاجتماعية واعتبر أن الملكية الخاصة تؤدي إلى عدم المساواة والظلم[33]. أصبح عمله العقد الاجتماعي The Social Contract الكتاب المقدس للثوار الفرنسيين[34]. عندما اندلعت الثورة الفرنسية وطبق جيل جديد من المفكرين أفكار التنوير لبناء مجتمع جديد[35]. لكن يرّجح مؤرخون آخرون أن التنوير يرجع إلى ثمانينيات القرن السابع عشر، بقيام الثورة الإنكليزية المجيدة عام (1688م) التي سُنّ من خالها قانون الحقوق الإنكليزي، حيث تطلعت كل شعوب أوروبا إلى نظام حكم برلماني كما في إنكلترا[36] . ففي إنكلترا كان الكتاب يمارسون الكتابة والنشر بحرية تامة، وهذا كان أمر استثنائي في ذلك الوقت في أوروبا[37]. هنا يمكننا القول إن إنكلترا قد سبقت فرنسا في ولادة التنوير والأفكار الداعية إلى التحرر وإعلان الحقوق وصيانة الآراء واحترامها.

مبادئ عصر التنوير:

تميزت هذه الفترة بتركيزها على العقلانية والبحث العلمي، مما تحدى السلطة التقليدية ومهد الطريق لمُثُل الديمقراطية الحديثة. لم يقتصر تأثير مبادئ هذا العصر على الخطاب الفلسفي فحسب، بل كان له أيضاً آثار بالغة الأهمية على السياسة والدين والتعليم.

1-**العقل:** ساهم العقل في تشكيل المزاج الفكري لعصر التنوير للقارة الأوروبية، منذ انهيار الإمبراطورية الرومانية وحتى انطلاق حركات الإصلاح والنهضة، لم يكن من السهل الانتقال بالعقل من خرافات العصور الوسطى إلى آفاق العصر الحديث، فقد شهدت هذه الفترة صراعات عنيفة، ورغم ذلك، استمر العقل في ثورته وتطوره، كما هو الحال في مراحل التحول الاجتماعي والتاريخي التي أدت إلى استكشاف رؤى جديدة ومتقدمة[38]. كان للعقل دور محوري في شخصية سقراط، حيث اعتمد على منهج المناقشة الحرة ووجه دعوة للآخرين لاستخدام عقولهم. يمثل العقل التنويري رفضاً لتعدد الآلهة ورفضاً للجهل، كما يضع الوجود الإنساني في مركز الاهتمام، إن العقل، الذي أصبح مبدأً

---

* **جان جاك روسو: فيلسوف سويسري، أشادت أعماله بحركة التنوير الأوروبي وانتقدها في آن واحد. ورغم إيمانه بقوة العقل والعلم والفنون، كان مقتنعاً بان ازدهار الثقافة يخفي وراءهمجتمعاً مليئاً بالتفاوت والظلم. من أبرز اعماله: الخطاب الأول والثاني والعقد الاجتماع ورواية إميل. للمزيد النظر: Qvortrup, Mads,The Political Philosophy of Jean-Jacques, Russeau(The Impossibility of Reson), Manchester University Press, Manchester, UK, 2003,P. 1-18**

[31] روسو، جان جاك، العقد الاجتماعي، تر عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ط، 2012، ص 13-15.

[32] روسو، مرجع سابق، ص 13-15.

[33] روسو، مرجع سابق، ص 13-22.

[34] هولت، ب . م، صانعو أوروبا الحديثة، تر موفق شقير، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، د.ط، 1980، ص 257.

[35] Ldcock, Michael, The Enlightenment, ED Tony Taylor, Nelson Cengage Learning, p.13.

[36] Hourly History, Age of Enlightenment, A History from Beginning to End,p. 1.

[37] Deyon, Piere, L'Europe du XII^e Siècle,2^e edition, Hachette Livre, 1995, p. 61.

[38] فرج، محمد يحي ، ثورة العقل في القرن الثامن عشر، دار الثقافة، د.ط، د.ت، ص 12-20.

أساسياً في هذا العصر، هو عقلٌ ثائر يرفض التناقضات، ويتخلى عن التقليد الأعمى وينأى بنفسه عن التبعية للسلطات المطلقة ويتمسك بإعلان الحق حتى وإن اجتمع الجميع على إنكاره ويرفض الخضوع للصور والتماثيل. في القرن الثامن عشر، انتقل سلطان العقل من مجالات الفكر والعلم إلى فضاءات الطبيعة العامة، حيث لم تعد تُعتبر الطبيعة دليلاً على وجود الخالق كما كانت في العصور الوسطى، بل أصبحت –أي الطبيعة–الكون، كياناً يمتلك نظامه الذاتي المستقل. بدلاً من أن تُفهم الروح ككيان يتعبد باسم الروح الأعظم، تحولت إلى مادة يمكن إدراكها وتجربتها عبر الحواس. أصبح الإنسان، في هذا السياق الجديد، مسؤولاً عن مصيره وقراراته، حيث يُعطى الإنسان القدرة على تشكيل واقعه بعيداً عن القيود التقليدية[39].

تجلت ثورة العقل في الاتجاه نحو مادية علمية، حيث أصبح يُنظر إلى الحقائق من خلال عدسة المادة فقط، وكان رجال التنوير يتطلعون إلى تحقيق المجتمع المثالي من خلال نشر أسلوب التفكير العقلاني والعلمي بين الناس، ومكافحة الخرافات والمعتقدات الزائفة. ومنذ انطلاق هذا العصر، ارتفع شعار "تنظيم التقدم"، إذ أكدت حركة التنوير على قدرة الجنس البشري على بلوغ الكمال، وأن مصيره أصبح بيده، بعد أن أصبح بإمكانه رسم ملامح مستقبله وفق رؤيته الخاصة. لم يجرؤ أحد على السعي لتحقيق هذا الطموح اللامحدود إلا بعد أن شهد العقل تطوراً ملحوظاً في القرن الثامن عشر. مادام العقل هو الأداة المكلفة بكشف الحقيقة وتصحيح الأخطاء، فإن هذه هي الوظيفة الأساسية للفلسفة والعلم، حيث بإمكاننا القول أن العقل هو النور الذي ينير دروب الإنسانية، فهو جوهر التنوير ذاته[40].

2– **عندما نتحدث عن "الطبيعة" في الفلسفة، فإننا نتناول مفهوم فلسفة الطبيعة.** أولاً، في اللغة، يشير مصطلح الطبيعة إلى الطبع والخصائص، حيث تعبر عن الخلقة والسجية التي يتميز بها الإنسان[41]. ثانيًا، في الاصطلاح، تحمل الطبيعة معاني متعددة، من بينها المبدأ الفعلي أو الانفعالي الدائم الذي يوجه حركة الأجسام وسكونها، بما أن الموجودات تتحرك وفق نسق محدد؛ فهي تشير إلى وجود علّة للحركة والسكون[42]. في القرن الثامن عشر، برزت فكرة "القانون الطبيعي" كبديل لـ "القانون الوضعي"، وظهر الدين الطبيعي كمعارض للدين الوضعي، وقد كتب فولتير *Voltaire(1694–1778م) في معجمه الفلسفي أن الطبيعة تمثل شيئًا ماديًا، بينما ما يتجاوز الطبيعة هو شيء غير مادي، أي ميتافيزيقي، ولا ينبغي الخوض فيه، وبصفة عامة. تعني الطبيعة مجموعة الأشياء التي تتسم بالنظام، والتي تحقق نماذج معينة أو تتشكل وفقًا لقوانين معينة، ومن ثم، فإنها تمثل بشكل خاص المبدأ الفعّال والحيوي، والإرادة التنظيمية التي تتجلى من خلال هذا النظام[43]. هذا بالنسبة للتعريف العام للطبيعة، أما فلسفة الطبيعة فتطلق عموماً على الدراسات المتعلقة بالمادة، ويمكن أن نميّز نوعين:

---

[39] حنفي، حسن، قضايا في الفكر المعاصر، دار التنوير، ط1، 1982، ص 43–45.

[40] فرج، مرجع سابق، دار الثقافة، ص 22.

[41] معجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشرق الدولية، ص 378.

[42] الحفني، عبد المنعم، معجم فلسفي، دار المعارف، تونس، 1992، ص 185.

*** فولتير: كان فرانسوا ماري دارويه المعروف باسمه المستعار فولتير، كاتباً وناشطاً اجتماعياً فرسياً، لعب دور بارز في التنوير، تمحورت أعماله حول مفهوم جديد للفلسفة والفيلسوف، وهذا ما أثر في جوانب جوهرية على المفهوم الحديث لكل منهما. للمزيد النظر:**
Wheeler, J. M. & G. W. Foote , VOLTAIRE: A SKETCH OF HIS LIFE AND WORKS, London, 1891,p. 1–5

[43] لا لاند، أندريه، الموسوعة الفلسفية، تر خليل أحمد، ص 3، منشورات العويدات، م2، 2001، ص 858.

1- دراسات متعلقة بالرياضيات، كما هو الشأن عند فيثاغورس* Pythagoras(570-490ق.م)، أو ديكارت (1596-1650م)، ففي مجال الطبيعة، يمكن ترتيب معرفتنا بواسطة الرياضيات، لكنها في النهاية تتبع من التجربة[44].

2- تُعتبر الدراسات العقلانية المجردة، التي لا تتقيد بالتجربة، جوهر فلسفة الطبيعة بمعناها الدقيق، هذه الفلسفة، التي كانت في بداياتها متداخلة مع المذاهب الأخرى، تطورت لاحقًا لتأخذ شكلًا متميزًا في إطار المثالية، لكنها لم تكن يومًا منفصلة عن عالم التجربة ونتائج العلوم[45].

من الواضح أن الإيمان بالمذهب الطبيعي يتضمن بالضرورة رفض الاتجاه نحو النزعة المتعالية أو ما فوق الطبيعة؛ إذ تُقاس قيمة المعرفة بناءً على فائدتها للناس وفقًا للمذهب الطبيعي. وقد جاء اكتشاف "نيوتن" لقانون الجاذبية ليعزز هذا المذهب الآلي ويُرسخ الثقة في المنهج الرياضي، حيث أظهر تماسك أجزاء الطبيعة. بالنسبة لنيوتن، كانت الظواهر هي مادة التجربة، بينما كانت المبادئ والأسس هي الغايات التي يُسعى للوصول إليها من خلال الاستقصاء والبحث، لم يعد منطق عصر التنوير مجرد استمرار للمنطق المدرسي أو خاضعًا لتصورات رياضية، بل أصبح منطقًا يستند إلى الواقع؛ إذ لا يمكن للحقائق أن تتكشف إلا من خلال التفاعل بين العقل والتجربة، وقد ارتبطت الطبيعة بوظيفة النقد العقلي، مما ألزم الفيلسوف بعدم تجاوز حدود الملاحظة والتجربة، حيث حل العلم محل الميتافيزيقا. وإن إنجازات نيوتن كعالم طبيعي، وإن كانت مثيرة للإعجاب وفريدة من نوعها، إلا أنها كانت في نظر الفلاسفة قبل كل شيء أدلةً رائعة على منهجه -المنهج الذي ينبغي على كل من يُجري أي بحث أن يتبعه بإخلاص: ترويض التكهنات بإجراءات موثوقة، واتباع الحقائق أينما قادت[46]. لقد ساهمت هذه النقلة في إعادة تقييم العلاقة بين تصوراتنا وخصائص الطبيعة، إذ أصبح من الواضح أن الربط بين الأفكار العقلية والوظائف الطبيعية قد يؤدي بنا إلى تجاهل حقيقة أن هذه التصورات هي نتاج للعقل البشري. لقد كانت هذه التصورات أدوات مفيدة لتقسيم موضوعات البحث إلى فئات وأنواع، لكن في الواقع، لا توجد أنواع أو أجناس ثابتة في الطبيعة؛ بل إن الطبيعة تتكون من أشياء فردية يجب أن نبدأ دراستها منها، لن تُعتبر النتائج التي توصلنا إليها صحيحة إلا إذا ساعدت في إيضاح هذه الأشياء الفردية وإلقاء الضوء عليها[47] .

فلسفة عصر التنوير:

كان التنوير فكرة فلسفية قبل أن تكون مادة للتحقيق التاريخي، وعندما خضعت للتدقيق التاريخي، اكتشف أن التنوير كان حركة أوسع وأكثر تعقيداً مما تم تقديره سابقاً. ولكن التنوير ظل فكرة فلسفية بقدر ما هو ظاهرة تاريخية، وبسبب ذلك أصبحت فكرة ذات معنى وأهمية تتجاوز بكثير الأحداث التاريخية البحتة الأخرى. وليس فقط العلماء

---

* **فيثاغورس: كان فيثاغورس فيلسوف يوناني حقق تطورات مهمة في الرياضيات والفلك والموسيقا. النظرية المعروفة باسم نظرية فيثاغورس كان معروفة لدى البابليين قبل ألف عام ولكن ربما كان أول من أثبتها. أسهم في تطوير الهندسة، آمن بالتناسخ، وقال بأن تطهير النفس ممكن عن طريق معرفة الحساب والهندسة والموسيقا. للمزيد -البعلبكي، منير، مرجع سابق، ص 335 . و-www groups.dcs.st-and.ac.uk/ ~history/Mathematicians/Pythagoras.html /**

[44] Robertson, John the Enlightenment, (A Very Short Introduction), Oxford University Press, 2015, p. 3.

[45] زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية، م1، ط1، 1986، ص 560.

[46] Gay, Peter The Living Enlightenment, University of Toronto, p.73.

[47] محمود، أحمد، نظرة جديدة في عصر التنوير، مجلة الفكر المعاصر، المؤسسة المصرية العامة 7، ص 21-22.

وطلابهم هم من يتأثرون بها، بل جمهور أوسع بكثير[48]. يمثل الفكر البشري سلسلة من التطورات المتصلة التي تتبع بعضها البعض، حيث تتراكم هذه التطورات حتى تصل إلى نقطة تحول تثير الانتباه، مما يجعلها نهاية لعصر قديم وبداية لعصر جديد. في هذا السياق، يظهر العصر الجديد كفترة تعيد تفسير الماضي بشكل يتماشى مع مفاهيم ومبادئ جديدة. على الرغم من أن الفلسفة الحديثة تُعتبر ثورة على الفكر القديم والوسيط، إلا أنها لم تظهر بشكل مفاجئ، بل كانت نتاجاً لظروف وعوامل سابقة. نشأت هذه الفلسفة من عملية تطورية بطيئة استمرت منذ مطلع القرن الخامس عشر وحتى بداية القرن السادس عشر، وهو ما يُعرف بعصر النهضة، خلال هذه الفترة، بدأت نظرة الإنسان إلى الطبيعة وإلى ذاته تتغير تدريجياً. يمثل عصر النهضة مرحلة الانتقال من الفهم اللاهوتي للطبيعة إلى الفهم العلمي، حيث تم تسخير المعرفة لخدمة الإنسان وتحسين نوعية حياته، لم تعد الحياة على الأرض مجرد مقدمة لحياة أخرى بعد الموت، بل أصبحت تجربة مستقلة تتطلب العناية والاستغلال الأمثل للموارد المتاحة[49].

آثار عصر التنوير:

ترك عصر التنوير آثاراً كبيرة لا تزال محسوسة حتى يومنا هذا، حيث يُعرف هذا العصر أيضاً بـ "عصر العقل"، كانت هذه الحركة الفكرية والفلسفية الكبرى سائدة في أوروبا خلال القرن الثامن عشر، وقد أثرت بشكل عميق على جميع جوانب الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية. من أبرز آثار عصر التنوير:

1- التحول الفكري: قام عصر التنوير على أساس تقدير العقل البشري وقدرته الفائقة على الفهم والتحليل، حيث اعتُبر العقل المصدر الأساسي للمعرفة، هذا التحول الفكري جاء كرفض للخرافات والسلطة الدينية المطلقة، مما أدى إلى ظهور مناهج جديدة في الفلسفة والعلوم، دعا فلاسفة هذا العصر إلى إعادة الاعتبار للإنسان والطبيعة، مؤكدين على أهمية الحرية والعدالة والمساواة، كما أظهروا إيمانًا راسخًا بالتقدم البشري من خلال البحث العلمي والتجريب[50].

2- التأثير على السياسة وبنية الدولة: أسهمت أفكار التنوير في تقويض السلطة الملكية وسلطة الكنيسة، مما مهّد الطريق لثورات سياسية كبرى مثل الثورة الفرنسية (1789م) والثورة الأمريكية (1773م). كانت هذه الأفكار حجر الأساس لنشوء الدولة الحديثة التي تعتمد على البيروقراطية وسيادة القانون وفصل الدين عن الدولة، مما انتزع الصفة الإلهية عن سلطة الملوك، ألهمت مبادئ التنوير حركات التحرر في أوروبا وأمريكا اللاتينية، وأسست لمفاهيم الليبرالية، الديمقراطية، وحقوق الإنسان[51].

3- التأثير الاجتماعي والثقافي (سلاح نقدي جديد: الموسوعة)، في عام 1745 حصل بائع الكتب فرانسوا ليبرتون على امتياز ملكي لنشر ترجمة ل "الموسوعة أو القاموس الشامل للفنون والعلوم"، للكاتب الإنكليزي إفرايم تشامبرز، عضو الجمعية الملكية. نشر العمل لأول مرة عام 1728، وكان قد طُبع منه خمس طبعات فقط خلال ثمانية عشر عاماً. وهكذا استمر النشر العديد من النصوص والمقالات وحظيت بنجاح كبير[52]. يُعدّ التنوير حقيقة

[48] Robertson, John, op. cit, p. 2.

[49] متي، كريم، الفلسفة الحديثة، ط2، 1988، ص 8.

[50] Zafirovski, Milan the Enlightenment and Its Effects on Modern Society, Spirnger Science+Buiness Media, New York, p. 28.

[51] غنار سكيربل ونلز غيليجي، تأريخ الفكر الغربي من اليونان القديم إلى القرن العشرين، تر حيدر حاج إسماعيل، المنظمات العربية للترجمة، بيروت، 2012، ص 516-518.

[52] Mazauric, Simone, op. cit,p. 309-310-311

اجتماعية كلية للتغير الثوري، ويتم ذلك من خلال أدوات فكرية أو ثقافية، كالأفكار والكتب مثل الموسوعة في فرنسا، فهي متميزة عن الوسائل السياسة ضد النظام القديم المحلي أو الاستعماري لاحقاً. إذن هي من بين الأشكال الأدبية العديدة التي استخدمها الفلاسفة، ولكن في الواقع كانت أكثر بكثير من مجرد كتاب مرجعي بسيط[53]. رأى ديدرو* Diderot Denis (1713–1784م) أنه يستطيع جعل هذا المنشور أقوى من مجرد وصف مباشر للتقنية الحالية، فجمع فريقًا من المفكرين لكتابة مقالات أصلية، أراد دليلًا لكل تقنية معروفة لتشجيع التقدم والمعرفة، ومدفوعًا بحماسه، طلب من جان لورون دالمبير* Jean le Rond d'Alembert (1717–1783م)، أن يكون مستشاره العلمي، ثم عيّن فريقًا من الخبراء في كل موضوع يمكن تخيله، عمل بنفسه بجهد كبير، فكتب المقالات، وحضّر ورش العمل للتحقق من التفاصيل التقنية، وحرر مقالات الآخرين. واصل هذه المهمة بعد سجنه في فينسين عام (1749م)، في عام (1750م)، أعلن عن المجلد الأول، وسرعان ما دفع ألفين مشترك ثمن الكتاب مقدمًا، صدر المجلد عام (1751م)، مما أثار حماسًا كبيرًا في الأوساط الفكرية في باريس[54] .

الخاتمة:

كان أن عصر التنوير فترة حاسمة في تاريخ الفكر البشري، حيث شعر المتعلمون بأن "نور" المعرفة العلمية بدأ يتغلب على "ظلام" الخرافات والجهل. ومع ذلك، يجب علينا كدارسين أن نتبنى نظرة نقدية تجاه مفهوم التنوير، إذ إن التاريخ قابل للنقاش والتأويل. لقد تجلت هذه الطفرة الفكرية في سياقات اجتماعية متعددة، حيث نشأت في شبكات اجتماعية عفوية بدلاً من القاعات الأكاديمية التقليدية. لفهم التنوير بشكل أعمق، من الضروري إدراك كيفية تشكل "الرأي العام" في القرن الثامن عشر، ومدى تواصل المتعلمين من خلال ما يُعرف بـ "جمهورية الأدب". لقد استغل هؤلاء المفكرون جميع الوسائل المتاحة، مثل المقاهي والصالونات والجمعيات العلمية، لنشر أفكارهم. كما أن الفلاسفة تمكنوا من إيصال رسائلهم بفاعلية من خلال استخدام أشكال أدبية وفنية متنوعة، بما في ذلك "الموسوعة"، التي انتقدت الملكية الفرنسية بشكل حاد تحت غطاء المعلومات الواقعية. إن هذه الأفكار والأعمال كانت تمثل جوهر التنوير وتبرز أهمية التفكير النقدي في فهم هذه الحقبة التاريخية.

[53] Zafirovski, Milan, op. cit, p. 7.

*** دينيس ديدرو: كاتب وفيلسوف فرنسي، عُرف بآرائه التي أثرت في عصر التنوير، ورئاسته لتحرير الموسوعة متعددت الأجزاء، التي توصف غالبا بانها "إنجيل عصر التنوير"، كتب ديدرو واعماله الفلسفية بأسلوب أدبي مبدع وذكي، قدّم من خلاله ريته العلمانية والعلمية للقضايا السياسية والأخلاقية العريقة. للمزيد النظر: A. M. Caroillon, Le Vie de Denis Diderot, Le Club Français du Livre, University of Michigan 1971, p.1-5**

*** جان لو روند دالمبيرت: عالم رياضيات فرنسي، ورائد في دراسة المعادلات التفاضلية واستخدامها في الفيزياء، ودرس توازن الموائع وحركتها. للمزيد- Paty, Michel, Alembert(Jean le Rond) 1717-1783,Encyclopedia Universalis ,1984, pp.693-694**

[54] Ldcock, Michael, op. cit, p. 36.

المراجع (Referenes)

[1] **ابراهيم، إبراهيم مصطفى**، فلسفة العلوم، دار الوفاء، الإسكندرية، ط 1، 2000.

[1] I. M. Ibrahim,., Philosophy of Science, 1st ed, Dar Al-Wafaa, Alexandria, 2000.

[2] **ابن منظور**، لسان العرب المحيط، تق يوسف خياط ونديم مرعشلي، ج 15، دار لسان العرب، بيروت، ج 3.

[2] I. Manzur, Lisan al-Arab al-Muhit, edited by Yusuf Khayyat and Nadim Marashli, vol. 15, Dar Lisan al-Arab, Beirut, vol. 3

[3] **إيف بوروبير**، أوروبا التنوير، تر محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد، ط1، 2008.

[3] E. Bouroubert, Europe of the Enlightenment, 1st ed, trans Muhammad Ali Muqallad, Dar Al-Kitab Al-Jadeed, 2008.

[4] **البستاني، بطرس**، قطر المحيط، ج12، مكتبة لبنان، بيروت، 1869، ج 2.

[4] B.Al-Bustani, Qatr al-Muhit, Vol. 12, Library of Lebanon, Beirut, 1869, Vol. 2.

[5] **البعلبكي، منير**، معجم أعلام المورد، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992.

[5] M. Al-Baalbaki, Dictionary of Notable Figures, 1st ed., Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut, 1992 AD.

[6] **بيار، إيف بورويير**، أوروبا التنوير، تر محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2008.

[6] P. E. Bourgeois, Europe of the Enlightenment, 1st ed trans Muhammad Ali Muqallad, Dar Al-Kitab Al-Jadeed Al-Muttahida, Beirut, 2008.

[7] **الجزيري، محمد مجدي**، التنوير الحضارة عند هيردر، دار الوفاء، الإسكندرية، د. ط، 2002.

[7] M. M. Al-Jaziri, Enlightenment and Civilization according to Herder, Dar Al-Wafaa, Alexandria, 2002.

[8] **حسيبة، مصطفى**، المعجم العربي الفلسفي.

[8] M. Hasiba, The Arabic Philosophical Dictionary.

[9] **الحفني، عبد المنعم**، معجم فلسفي، دار المعارف، تونس، 1992.

[9] A. Al-Hafni, Philosophical Dictionary, Dar Al-Maaref, Tunisia, 1992.

[10] **حنفي، حسن**، قضايا في الفكر المعاصر، دار التنوير، ط1، 1982.

[10] H. Hanafi, Issues in Contemporary Thought, 1st ed, Dar Al Tanweer, 1982.

[11] **ديكارت، رينيه**، مقال عن المنهج، تر محمود محمد الخضيري، ط 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985.

[11] R. Descartes, Discourse on the Method, 3rd ed trans Mahmoud Muhammad al-Khudairi, Egyptian General Book Organization, Cairo, 1985

[12] **زيادة، معن**، الموسوعة الفلسفية، م1، ط1، 1986.

[12] M. Ziyada, The Philosophical Encyclopedia, 1st ed, Vol. 1, 1986.

[13] **الزير، مروان**، موسوعة العلوم الطبيعية، دار أسامة، الأردن، ط1، 2002.

[13] M. Al-Zeer, Encyclopedia of Natural Sciences, 1st ed, Osama Publishing House, Jordan, 2002.

[14] **ليود ، سبنسر، كروز، اندرزيجي.** عصر التنوير، تر: عبد الفتاح إمام، ط 1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.

[14] S. Lloyd and C. Andrzej, The Age of Enlightenment, trans. Abdel Fattah Imam, 1st ed., Supreme Council of Culture, Cairo, 2005.

[15] **صبحي، أحمد محمود،** فلسفة الحضارة، مؤسسة الثقافة الجامعية، د.ط، 1976.

[15] A.M. Sobhi, Philosophy of Civilization, University Culture Foundation, 1976.

[16] **العلامة أحمد بن محمد بن علي،** المصباح المنير، ج 4، دار الكتب العربية العامة، بيروت، ج ،1 1978.

[16] A. ibn Ali, Al-Misbah Al-Munir, Vol. 4, Dar Al-Kutub Al-Arabiyah Al-Ammah, Beirut, Vol. 1, 1978.

[17] **غنار سكيربل ونلز غيليجي،** تأريخ الفكر الغربي من اليونان القديم إلى القرن العشرين، تر حيدر حاج إسماعيل، المنظمات العربية للترجمة، بيروت، 2012.

[17] G. Skripal and N. Gilligei, A History of Western Thought from Ancient Greece to the Twentieth Century, trans Haidar Haj Ismail, Arab Organizations for Translation, Beirut, 2012.

[18] **فرج، محمد يحي،** ثورة العقل في القرن الثامن عشر، دار الثقافة، د.ط، د.ت.

[18] M. Y. Faraj, The Revolution of Reason in the Eighteenth Century, Dar Al-Thaqafa.

[19] **فيصل، عباس،** الفلسفة الإنسانية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 2005.

[19] Faisal, Abbas, Human Philosophy, 1st ed, Arab Thought House, Beirut, 2005.

[20] **متي، كريم،** الفلسفة الحديثة، ط2، دار المعارف، بغداد، 1988.

[20] K. Maty, Modern Philosophy, 2nd ed., Dar Al-Maaref, Baghdad, 1988.

[21] **مجموعة من المؤلفين،** معجم الوجيز، مكتبة الشرق الدولية، 1994.

[21] A group of authors, The Concise Dictionary, International Oriental Library, 1994.

[22] **محمود، أحمد،** "نظرة جديدة في عصر التنوير"، (مجلة الفكر العربي المعاصر)، القاهرة، 1965.

[22] A. Mahmoud, A New Perspective on the Age of Enlightenment, Contemporary Arab Thought Magazine, Cairo, 1965.

[23] **هازرد، بول،** أزمة الوعي الأوروبي 1680–1715، ط1، تر د. يوسف عاصي، مر د. بسام بركة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009.

[23] P. Hazard, The Crisis of European Consciousness 1680-1715, 1st ed., trans. Dr. Youssef Assi, tv. Dr. Bassam Baraka, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 2009.

[24] **هولت، ب . م،** صانعو أوروبا الحديثة، تر موفق شقير، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، د.ط، 1980.

[24] B. M. Holt, Makers of Modern Europe, trans. Muwaffaq Shuqair, Publications of the Ministry of Culture and National Guidance, Damascus, 1980

[25] A. M. Caroillon, Le Vie de Denis Diderot, Le Club Français du Livre, University of Michigan 1971.

[26] A.A. L.The Concise Dictionary, International Library of the East.

[27] A. Pagden, The Enlightenment and why it still Matters, University of Oxford, Oxford, 2013.

[28] B. ISAIAH, The Age of Enlightenment (The Eighteenth-Century Philosophers),sd edition, Ed. by Henry Hardy, OXFORD, 2017 AD.

[29] C.B. Stokes, Caudius-Ptolemy.

[30] D. Piere, L'Europe du XII^{e} Siècle, 2e edition, Hachette Livre, 1995 AD.

[31] G. Skirbel, & N. Gilligy, A History of Western Thought from Ancient Greece to the Twentieth Century, trans. Haidar Haj Ismail, Arab Organizations for Translation, Beirut, 2012 AD.

[32] H. Hourly Age of Enlightenment, A History from Beginning to End.

[33] https://www.britannica.com. 15-2-2026. 22:57.

[34] https://plato.stanford.edu/entries/enlightenment/ 10-5-2025. 21:30.

[35] I. Kant, An Answer to the Question: What is Enlightenment, Tras Ted Humphrey, Hackett publishing, 1992. AD.

[36] J. Derrida, Cogito et histoire de la folie. In: L'écriture et la différence, Paris: Seuil, 1967 AD.

[37] J. M. Wheeler, & G. W. Foote Voltaire: A Sketch of His Life and Works, London, 1891 AD.

[38] J. Robertson, The Enlightenment, (A Very Short Introduction), Oxford University Press, 2015 AD.

[39] J.J. Rousseau, The Social Contract, trans Adel Zaeter, Hendawi for Education and Culture, Cairo, 2012 AD.

[40] K. H. Finke, Johnnes Kepler (1571-1630), Biography and 12-13-Karmic Aspects of his Life, Berlin, 2001 AD.

[41] L. Spencer, & K. Andrzej, The Age of Enlightenment.

[42] M. Ldcock, The Enlightenment, ed. Tony Taylor, Nelson Cengage Learning.

[43] M. Paty, Alembert(Jean le Rond) 1717-1783,Encyclopedia Universalis ,1984 AD.

[44] M. Zafirovski, the Enlightenment and Its Effects on Modern Society, Spirnger Science+Buiness Media, NewYork.

[45] N. Sidereus,,Galileo Galilie, Trans V. Helden, The University of Chicago Pres, 1989 AD.

[46] Peters. E., Early-modern-Europe , https://www.britannica.com/topic/inquisition/

[47] P. Gay, the Living Enlightenment, University of Toronto.

[48] Qvortrup, Mads,The Political Philosophy of Jean-Jacques, Russeau (The Impossibility of Reson), Manchester University Press, Manchester, UK, 2003 AD.

[49] R. Descartes, Meditation on first Philosophy, Trans Michael Morarty, Oxford University Press, 2008 AD.

[50] R. Descartes, René, Discourse on Method, trans. Mahmoud Muhammad Al-Khudayri, 3rd ed., Egyptian General Book Authority, Cairo, 1985 AD.

[51] S. J. Barnett, The Enlightenment and Religion, Manchester University Press, Manchester, 2003.

[52] S. Mazauric, Hitoire Des Sciences À L'Époque Moderne,Armand Colin, Paris, 2009AD.

[53] www-group.doc.st-and.ac.uk/history/Mathematicans/Pythagoras.html/ 23-7-2025. 20:21.